من الأعماق ...

للآنسة الفاضلة (المطوقة)

سرت وحدى فى غربة العمر ، فى التيه المعمى ، تيه الحياة السحيق
لا أرى غاية لسيرى ولا أبصر قصداً يرف إليه طريق
ملل فى صميم روحى ينساب ، وفيض من الظلام الدفوق
وأنا فى توحشى ، تنفض الحيرة حولى أشباح رعب عميق

سرت وحدى فى التيه ، لا قلب يهتز صدى خفقه بقلبى الوحيد
سرت وحدى ، لا وقع خطو سوى خطوى على المجهل المخوف البعيد
لا رفيق ، لا صاحب ، لا دليل غير يأسى ووحدتى وشرودى
وجمود الحياة يضفى على عمرى ظل الفناء ، ظل الجمود ...

والتقينا ... لم أدر أى قوى ساقتك حتى عبرت درب حياتى !
كيف كان اللقاء ؟ من ذا هدى خطوك ؟ كيف انبثثت فى طرقاتى ؟
لست أدرى ، لكن رأيتك روحاً يوقظ الشوق فى مسارب ذاتى
ويذرّى الرماد من روحى الخابى ، ويذكى نارى ، ويحيى مواتى ...

حدقت مقلتاك فىّ ، وآلاى يغشّى ضبابها مقلتيه
لست أدرى ما استجلتاه ولا ما رأتا خلف وحدتى الأبديه ...
غير أنى أبصرت روحك تهتز انعطافاً ، فى رقة علويه
وهنا خلتنى شعرت بروح الله رفت من السماء عليّه !

يا لعينيك ! أى نفحة بعث أودعتها عيناك فى أعماق
فإذا بالحياة عارمة النبض بفيض الحنين ... بالأشواق ...
وإذا بالجمال يعكس ألوان رؤاه على صدى آفاقى
وإذا بى فى ظل حب عظيم معجز السحر ، مبدع ، خلاق

نظرة فتحت لقلبى أبواب السموات والجنان العليه !
رحلت بى أفقاً يموج به الوحى وتنثال الرؤى القدسيه ...
فيه سحر الألوان ، فيه صدى الألحان ، فيه منابع الشاعريه !
نظرة خلف هدبها رحت أستشرف عمق الخلود والأبديه !

ومضت بى الأيام ، لا أنا صرحت ، ولا لفتى الحيية تبدو
كم وكم راح يعترينا مكان وأناشيد توارت ... ووجد ...
كم حديث حدثتنى ، كم قصيد هز روحى وأنت تروى وتشدو
وبقلبى السعيد شىء كنفث الوجد ، يطغى تياره ويعد !

ومضت بى الأيام ، والزمن العجلان يجرى كالهارب المجنون
وسكونى ما انفك يرخى سدولاً فوق رعشات قلبى المفتون
وتلاشت بغتة ، ويمحق نشوة السحر والهوى والفتون
وإذا قلبى المرنح أشلاء على راحة الوداع الحزين !

وافترقنا ، وملء نفسى — لو تدرى — أحاسيس هائمات حيارى
وهواى المكبوت يجهش فى صمت ، ويرمى دموعه أشعارا
كم شجانى وداعك المرّ ، كم سائلت قلبى الممزق استعبارا
كيف كان الفراق ؟ كيف ازوى وجهك عنى فى لحظة وتوارى ؟

وافترقنا ، وبين كفىّ رسم لم يزل كل زاد روحى اليتيم
كم تلمست عمق عينيك فيه وبعينىّ أدمع تتضرم
يا لقلبى ، كم راح بين يديه يهتك الحجب من هواه المكتم
أسمع ، تسمع عبر الصحارى صداه يتراءى إليك شعراً مرنم ...

(المطوقة)

ظهرت حديثاً
الجزء الثالث من الجلد الأول من كتاب :
وحى الرسالة
للأستاذ أحمد حسن الزيات

يطلب من دار الرسالة ومن المكتبات الشهيرة
وثمنه ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد